موضوعات شتى

الشرق والغرب

بقلم الكاتب الاجتماعي غوليلمو فريرو

« تعريب الحقوق »

لنعود مرة ثانية الى الشرق لنفتش فيه عن طريق خلاصنا بين مهرجانه ومعطفاته .

اعود الغرب الذي يفخر بعلومه ويزدهي بحذاه ويتمايل بقوته للاذعان لاساتذة المدرسة القديمة كما يفعل التلميذ الوديع .

لقد تعلم الغرب في تلك المدرسة قبل بضعة قرون سداد الرأى واحكام الفكر فلاغرو اذا تزايدت اليوم الكتب التى تبحث عن موضوعات الشرق وانتشرت بين ايدي المطالعين في اوربا واميركا .

ومما يلفت الانظار كثرة عدد السائحين في الآونة الاخيرة في ربوع الشرق القريب بقصد البحث والتنقيب والنزهة . وظهور فئة من المستشرقين في المانيا لا عمل لهم سوى بث الافكار للرجوع الى عهد الحكمة الشرقية التي يقولون عنها انها اصبحت امل الغرب الوحيد بعد اختلال موازنته الحربية . اما في بريطانيا فقد انتشرت ابتدآ بين طبقات الشعب الانكلوسكسوني دعاية دينية عليها مسحة هندية فانحاز اليها جم غفير من الناس . وصار غاندي وتاغور موضع اهتمام الجميع ومدعاة لاعجاب البيئات المتعلمة والاوساط التى ترمي الى مبادىء اقرار السلام العالمي في نصابه .

ولا ازال اذكر ما صادفه شاعر الهند الاكبر (رابندرانات تاغور) عندما اتى ايطاليا في الربيع الماضي ، من الحفاوة والاكرام والتطلع الى معرفته مما اخاف حكومة الفاشست وجعلها ترغب اليه العدول عن سياحته و بقائه عند المرحلة الاولى منها اي في مدينة ميلانو . ولا اعلم ما هو مبلغ اهتمام رجال العلم وجماعة المفكرين في فرنسا بهذا الامر

وكذلك انه من الواضح بأجلى بيان ان وزير المالية لا يملك اصدار الاوامر الادارية بشراء ارض مملوكة للغير او باستئجارها من غير رضاء مالكها فليس له كذلك ان يصدر امره الاداري بالغاء عقد محرر بينه وبين احد الافراد لان القانونين سيان في وجود حق الغير ووجوب احترامه حتى يتنازل صاحبه عنه او يحكم القضاء فيه ..

وحيث انه تبين من كل ذلك ان قرار وزير المالية بالغاء عقد الايجار المحرر بين الحكومة وبين المادي المتعدي والاستيلاء بالطرق الادارية على الاماكن الموجرة انما هو اعتداء ... على الحق وعلى سلطان القضاء

وحيث ان مبدأ فصل السلطات مبدأ مقرر في الدستور المصري وهذا المبدأ يقتضي ان لا تعتدي السلطة التنفيذية على اختصاص السلطة القضائية مهما كانت الظروف والاحوال .

وحيث انه اذا جاز ان يميل غرور السلطات بالسلطة التنفيذية الى الاعتداء على اختصاصات القضاء فانه لن يجوز للمحاكم ان تنحني لهذا الاعتداء فتضيع بذلك حقوق العباد وضمانات الحرية .

وحيث انه لذلك كله يكون الحكم المستأنف في غير محله ويتعين الغاؤه

فلهذه الاسباب

وغيرها مما سيبديه وكيل المستأنف بالمرافعة الشفهية وبالمذاكرات الكتابية يحضر حضرة صاحب الدولة المعلن اليه بصفته المذكورة للحضور امام حضرة قاضي التحضير بمحكمة مصر الابتدائية الاهلية بجلسته المنعقدة بهيئة مدنية استئنافية في يوم الاثنين سبعة عشر اغسطس سنة ١٩٣٥ الساعة ٨ افرنكي صباحا حتى بعد تحضير الدعوى واحالتها على المرافعة يسمع دولته لجميع الدعوى بصفته المذكورة الحكم بقبول هذا الاستئناف شكلا وفي الموضوع بالغاء الحكم المستأنف الصادر من محكمة الموسكي الجزئية الاهلية في القضية نمرة ٨٠٠ سنة ١٩٣٥ وبرفض الدفع الفرعي والحكم باختصاص المحاكم الاهلية بنظر الدعوى وباعادة القضية لمحكمة اول درجة للفصل في موضوعها مع الزام دولة المعلن اليه بصفته بالمصاريف واتعاب المحاماة عن الدرجتين .

الآسيوية منذ القرون الوسطى وبها الاهوت ومعظم الكتب المقدسة . وهي السيئات « التكوينية » اليهودية والبراهمانية والمزدكية والديانات الادبية الاسلامية على خطوات تلك وآخرها هي الوثنية والمسيحية والاسلامية . فهي على الخوض على اختلاف عناصرهم واجناسهم من الاسيويين عن طريقة الاتصال والتسرب والتوجه الى السماء واخذوا منهم كثيراً من المبادئ الدينية ومن العلوم ولا يزال ذلك شيئاً من هذا القبيل . واذا جاز لنا ان نتساءل على من الفضل الذي لنا على الغرب من جديد ، فالى الغرب الذي نعلم ان الاوروبيين مستعدون للتعلم من الشرق الذي عثرت ابناؤه على الارض اوربا ويحملون . على حل مسائلهم . وهذه الطاقة الدينية في اوروبا الفتية . هي الحيات الروحية التي تحمل مثل الاسيوية اولا الاسلامية وفي سماعها في جنوب الشرق الادنى وفي جزء من بلاد الهند الانكليزية وفي ناحية من البلاد - والثانية اديان الهنود في الهند والصين والبلاد الشرقية وشبهها . ثم الكونفوشيوسية وهذا شيء آخر من حيث الدرسة العملية دائمة ، وهي تبث في جزء من بلاد الصين هذه المبادئ الدينية في العقل والتفكير وتجعل الناس هنالك تعاليمها ذات الفائدة . ويضاف الى هذه الديانات الكبرى معتقدات وطنية اخرى كالشنتو والتاوي وآراء فلسفية ودينية وسياسية نشأت في الهند والصين كالمع العالم الغربي .

واذا نظرنا الى اوروبا رأيناها نصرانية على الاطلاق « اليوم لا نكاد نجد من اليهود والمسلمين » ونحن نعلم ان في الكاثوليكية والبروتستانتية والارثوذكسية . وفي المواطن الكاثوليكية كما في غيرها لا يوجد اثر للايمان الصادق والعقيدة الثابتة ولا بين اقليات صغيرة تعيش بجانبها اكثرية ساحقة من ذوي العقلية المتزعزعة والافكار الحرة . ايجوز لنا الاعتقاد والحالة هذه ان هؤلاء الاكثريين الاحرار وضعاف الايمان يسعون في المستقبل القريب بسريان الدعوة الشرقية بينهم ثم لا يلبثوا ان يدخلوا دين الاسلام الواجب؟ وبعضها الوثنية والكونفوشيوسية ويصيروا من عداد طلبة تاغور وغندي ؟ ويقرروا تلك المبادئ العزيزة على بدائع

غير ان ذلك يتطلب من مطالعة الكراسة الشهرية التي تطبع هناك في قسمها المعنون « دعاية الشرق » حيث ابدى كثيرون من الفلاسفة والكتبة ورواد الممالك آراءهم حول حقيقة الدعاية الشرقية وفوائدها ومضارها مما يقع مجموعه في مجلد ضخم فيه مختلف الطرقات التي تمهد بجانبها مسلكات [illegible] لاهمية الطرقات وتباين الاستنتاجات . غير ان تعدد الآراء لا يوضح الموضوع ولا يبرز الحقيقة الناصعة بل تغلق عليها الابواب ويقطع السبل .

ان الشرق « ان كلمة الشرق لا تؤدي المعنى المقصود منها فهي مبهمة في ذاتها متناهية في اطلاقها والاولى بنا ان نستعيض عنها بكلمة اسيا » بمن ضمنها مصر . لقد كان للاسيويين تأثير كبير على الغربيين في الاجيال الماضية فشرعوا ينبهون في فترات من التاريخ معالم الحضارة ومبادئ الفلسفة ومصادر العلوم والفنون واصول الصناعة والزراعة . وكان يوجد في آسيا المهد الحقيقي لرمالي الفرس وادوية العلم الطب . ومن اكتسابها الاعشاب والقوت والرمال ومن دلائل برج ... بعد الاكتشاف الجرماني اساليب كل صناعة . واذا اردنا الاستطراد الى الامثلة وجدناها لا تقع تحت حصر فقد ذكر احد كتبة الصينيين القدماء كونفوشيوس ان فكرة النظام الحسي المنتشرة الآن في اوربا انما هي الامن اصل صيني . وان الاوربيين عندما زاروا البلاد الصينية في الجيل السابع عشر اقتبسوا منها فكرة تكوين الهيئة الاجتماعية على اساس حسي دون المعتقد الديني . ولقد كان لاقتداء الصينيين وتقليدهم ذلك من الطبقة الراقية المشهورة في اوربا وترعرع اساسها وبعث في الجيل الثامن عشر ثورة الفرنسيين من مرقدها . ولكن هذه التأثيرات وتلك المكانة ما جعلت اسيا الا قليلًا وربما لم يلبث ان اضمحل مع السنين . لان الاساليب الصناعية والعلوم والفنون ومعالي الحياة العملية قد انتقلت في مدة من الزمن من اسيا الى اوربا كذلك انتقلت مرة اخرى في فترة ثانية من اوربا الى آسيا بالمساواة . وها نحن اولاء منسلطين منذ قرن كامل على مقدرات الاسيويين الذين يقتبسون منا العلوم والصنائع .

اما فيما يتعلق بالموضوعات الدينية فالامر كان على عكس ذلك لان البلاد

اذن نعيمنا المرجو وجنتنا المفقودة التي لانستطيع دخولها ابداً . ومع كل فان الثروات الطائلة المتراكمة منذ قرنين لاتنسينا نعيمنا الذي سيظل ذكره في موضع القداسة منا . تضم البلاد الاسيوية الان رسوم تلك المدنيات وبقايا ذلك الماضي المجيد مما لانظير له في اوربا فهنالك الاخلاق السامية والتقاليد الموروثة ومختلف الفضائل وانواع التهذيب . ويهتم الغربيون اليوم ويفتشون في اسيا وفي اوروبا على آثار الماضي ولا يتطلعون للمستقبل ذلك لانهم لايقدرون ان ينفصلوا عن الماضي الذي هدموه بايديهم وتركوه اثراً بعد عين .

كتب الكونت كايزرلنج ، وهو ذلك الفيلسوف الالماني الشهير بانتقاداته للمدنيات الحديثة واحد محرري الكراسة الشهرية ، يقول بعد ان تفهم الحقيقة الاساسية أكثر من الجميع : لايري الكتاب الغربيون عندما يضعون الشرق والغرب في كفتي ميزان لاجراء المقابلة الى النظر الى المثال الاعلى للطرفين بل ينظرون الى المثال الكلاسيكي القديم ومثال العصور الوسطى ويعارضونهما مع المثال الاعلى لوقتنا الحاضر . اي انهم يجعلون المقابلة بين فكرة التكامل وفكرة الارتقاء . يصعب علينا تحديد الميل الذي نشأ اليوم في اوروبا واميركا للاسيويين واننا نعجز عن التدقيق فيه كما ان تاغور نفسه صعب عليه ادراكه عندما قارن في كتابه المسمى (الوطنية) بين المذهب الروحاني وميل الشرق للتكامل الادبي، وبين المذهب المادي الذي يقرر فكرة التكالب على الحياة ، الاندفاع في طلب الرزق وكسب المال بلا روية ولا عقل . قال : ان النزاع الذي نراه قائماً بين الشرق والغرب موجود بين الغربيين انفسهم فليس هنالك اوربا واحدة واميركا واحدة بل اوروبا وان واميركاوان تتناقضان كلتاهما وتتنازعان مع بعضهما كما هي الحال بين الشرق والغرب . وان كل اوربي واميركي مهما سمت درجته في العلم هو في الوقت نفسه بنزعتين غربية وشرقية ..»

وقد روى لنا ماترلنغ ان العقل البشري منشطر الى شطرين شرقي وغربي وهذا الكلام يبين لنا تلك الحقيقة الكبرى وهي ان عصرنا الحاضر يجتاز مأساة مضاعفة فقد حاول ان يكتسح الارض ويستولي على كنوزها فاضطر الى هدم جزء من النفائس

الاخلاص كما فعل اول المتمغربين في عهد الرسل ؟ ان القول بهذه الفرضيات قبل وقوعها يضحكنا اذ يجب علينا الا نخجب بمجرد حب الاطلاع على ادبيات الامم بلا الاخذ بمقالدها . فقد اصبحت اوربا الان « وامريكا ايضاً » تستغل الكتب لان الشعب الادبي تناوش ذموبها فصارت تطالع بلا انقطاع وتلتهم الاوراق المطبوعة وتحصر « الاكلات الادبية » الغريبة لتستطيب طعامها فلماذا؟ حقاً شوقاً . وقد اصبحت الكتب التي تبحث عن الشرق وعن دياناته غذاءهم اليومي الآن وقوتهم الوحيد . بعد ان مر عليهم زمن « وذلك بعد الحرب العامة » مالوا فيه الى مطالعة كتب العبادات وقصص القديسين وكراريس التصوف فظن بعض المفكرين وارباب الرأي ان هذا الميل دليل قاطع على قرب نشوء الفكرة الدينية بينهم وظهورها في بيئاتهم فكانوا مخدوعين كما خدعت حكومة الفاشستي وتوهمت ان مدينة ميلانو تعزز المبادىء « الفاتورية » .

لايحجب الغربيون في وقتنا الحاضر عن مطالعة جميع الكتب على اختلاف انواعها ولكنهم يعيشون عيشة من لم يطالع شيئاً . لان تنوع القراآت يقلل من تأثيرها . وقد لايكون للكتاب اثره الطيب في النفس الا اذا تميز على غيره من الكتب وانفرد بأهميته واصبحت له مكانته الخاصة كما هو الحال مع التوراة المقدسة ... يتاز هذا العصر على غيره بمطبوعاته التي تفوق الحصر والتي اصبحت برغم ذلك قليلة التأثير عديمة الجدوى » ونمرد نحن بميلنا للمطالعة ارضاء لاحكام الضرورة العمياء التي تكبسنا كما تريد وليس اذاً جاذبية تلك الافكار الجميلة . والذا فقد الميل لاستثمال هذه المطالعات عنها بذاته وخاصة فيما يتعلق بالموضوعات الشرقية . ونحن نعجب بالاسيويين كما يعجب الاميركان اوروبا ويزورونها ولكن حكمتهم لم تعلمنا شيئاً . نعم اننا نعجب بهم لكوننا محتاجين الى انقاذ البقية الباقية من المدنيات القديمة التي هدمناها بايدينا على مدار الايام لنزيد في ثروتنا وثروتنا تلك هي مأساة العالم الجديد واملنا انها لاتعاد مرة ثانية .

ترمي المدنيات القديمة الى الكمال ولا تفتش على السلطة والسيادة والتفوق فهي

ولكنا لو نظرنا الى مقدار ما دمره من الحرارات وما ازاله من الاباطيل امتناه القرن الجنوبي الدرس ولكنه لم يكن لاعدا ولا ... من اله ... ثمرة عظيمة في تاريخ العالم كان من تأثيرها قطع الثقة من الاوهام ...

وكذلك الان الاستيلاء على عامل الارض لا يمكن ان يكون سوى اداة ... يتخذ له مكانا ثانويا من مشاكل ... عندما ... الانسانية بعد توسع نطاق الارض الى الاكثار من ... من الكرة ... الاعلى التي هي من حاجة مصالح ... مقتضيات الحياة . ... فرن ... هذه الصرورة ... الماضي واحتجوا بوجوده ... ما ترمي من عقليتنا مشطورة الى شطرين . انا نعيش في ... تلك ... الشبيهة تلك ... في ... الارض . وانا نشتغل جميعا لاجل هذا ... ينكر ... الشطرين الشرقي والغربي من دماغنا .

من اشعار العرب

قال الشاعر ... :

... الى ارتداء	... من ...
ومن ... الاصاغر ...	... الاكابر في ...
...	...
اذا ... الاسافل والاعالي	...

والاعمال التي [illegible] والاعلام [illegible] .

[illegible] كنه الارض [illegible] ولا
[illegible] وكانت [illegible] تعيش
[illegible] على لا [illegible]
الا [illegible] الخامس عشر [illegible] الكرة الارضية
[illegible] على [illegible] في [illegible]
الاكتشاف [illegible] ثلاثة قرون [illegible]
[illegible] الناس
[illegible] .

[illegible] في هذا
[illegible] في [illegible] السبيل [illegible]
[illegible] على [illegible] لا شك ان
[illegible] وهذه [illegible] ان [illegible]
على [illegible] الارض وجب [illegible] من [illegible]
والتدرج [illegible] الارادة [illegible] وفرط [illegible] وعظيم [illegible] لم يحقق
[illegible] .

وما [illegible] على [illegible] من
[illegible] لا من ذلك [illegible] على [illegible]
الاد [illegible] اعلى درجات الكمال .

[illegible] كل [illegible] في [illegible]
[illegible] .
ووهبت [illegible] في سبيل مقاصده لم يحجم عن هدفها ، وبينما كان يقوم بعمله الذي
يشابه اعمال الجبابرة وجهت اليه انواع النعوت والتهم فلقبه الناس بقرن الحماقة .

ماضي الامم يدلنا عليه . وليس مايقول به بعض كبار المفكرين من اجراء الحق المطلق والركون الى ارادة الشعوب الا آيات ذهبية لاتطيق البقاء على حقيقة الطبع الانساني بل على كنه الطبيعة نفسها . خذ مبدأ تقرير المصير مثلا . فقد اقامت هذه النظرية العالم واقعدته واستهوت معظم الشعوب بل كل العامة فهل يصلح تقرير المصير قاعدة للنظام ؟

ان بدأنا بتطبيقه في بلد فلن تنتهي حتى يتناول كل اجزاء هذا البلد فيغير كل ماعرفه العالم حتى الان من نظام ومن قوميه ايضاً . فهل كان من حسن الرأي ان يترك لولايات الجنوب في اميركا الشمالية حق تقرير مصيرها والانفصال عن ولايات الشمال ! اذن فلماذا كانت حرب ١٨٦٠ . واين تكون الامة الاميركية العظيمة الان ؟ بل ليت تقرير المصير هذا يابث على حال . فالشعب الذي كان يطلب ان يقرر مصيره على هذا الشكل منذ عشر سنين تراه الان لو استفتي لطلب مصيراً آخر . هذا شيء يكاد يلمس اليوم باليد فانهم يقولون في تاريخ حروب نابليون انه لو استفتى مؤتمر فينا في سنة ١٩١٥ سكان البلجيك في مايريدون لطلبت الاكثرية منهم الانضمام الى فرنسا ، ولكن اوربا كلها كانت تأبى ذلك عليهم وتأبى ان تزيد قوة فرنسا ولطلب عدد كبير منهم الالتحاق بهولندا ولكن الحرب التي وقعت بينهما سنة ١٨٣٠ لاعظم برهان على فساد ما قد كانت تكون عليه تلك الرغبة بل مالنا وللامثال نتلمسها من بعيد . فلو اخذ رأي المصريين الان في تقرير مصيرهم لما رأيت واحداً يقول بغير الاستقلال ولكن لو طرح هذا الاستفتاء على الجمهور قبل سنة ١٩١٤ لرأيت اكثرية تقول بعدم الانفصال عن دولة الخلافة انفصالا تاماً واقلية تقول ببقاء الاحتلال . فأي الرأيين نأخذ وايهما الحق اليقين ؟ كلا ثم كلا . فالقومية تظهر وتؤخذ وتثبت بتهوء النفس لها وبالجهاد في سبيلها وما زاد على ذلك فليس من القومية في شيء .

وقبل ان ننتقل الى بحث آخر لابد لنا من كلمة نقولها عن العامل الاقتصادي في تكوين القومية . وكان الواجب علينا ان نأتي بها عند الكلام عن عوامل اللغة والدين والجنس والجغرافيا . فان لبعض الكتاب (ومنهم الذين انتقدوا معاهدة فرساي)